

اجتياحات التحول

وعصر اللاطفولة

أ. سامي الحربي
مهتم بالفكر وعلم الاجتماع
تويتر: @tragbki

«إن روحية العصر الحديث لا تتعارض فقط مع الروحية الطفولية -روحية البراءة- بل مع الأطفال أنفسهم لأن التحرر الجنسي قد زرع دماراً هائلاً والذي يعكس عدم وجود قناعة بضرورة توريث شيء صالح إلى الجيل الجديد لأن حضارتنا تسير في طريق الموت»

- يوهان ارنولد -

يشكل عصرنا نهاية للجغرافية على مستوى التباعد المكاني، والذي يرتبط بزوال المسافة بين أقطار الأرض من خلال سرعة النقل وتطور وسائله، ونهايةً للجدران الرمزية على المستوى الثقافي، والتي ترتبط بزوال المسافة بين الثقافات من خلال سرعة تنقل المفاهيم وتداخلها وتفجر مصادر التلقي واكتساح مساحات الأسئلة (من نحن؟ ما هو دافعنا؟ إلى أين نمضي؟) وإجاباتها التي تحدد معاني الولادة والحياة والموت.

ومن سمات نهاية الجغرافية المكانية والمفاهيمية مسألة المصير المبهم الذي يحاصر الإنسان على كافة المستويات، سواء كان ذلك على مستوى العالم الخارجي وأخطاره الحديثة المرتبطة بالحروب المتطورة والانتشار السريع للأوبئة ومشاكل المناخ، أو على مستوى العوالم الداخلية والتي تشمل تدمير المعايير الأخلاقية الثابتة وتحديات الصواب والخطأ التي تحكم حركة الإنسان وأفكاره وأقواله وأفعاله.

والمصير المبهم بمستوياته الخارجية والداخلية يحتاج الجسد وحدوده وهويته عبر مفاهيم الجندر التي تحاصر المعايير الثابتة للبشرية من خلال إعادة تعريف ما هو إنساني؟ وما هو قابل للتحويل؟ ومن هو الرجل؟ ومن هي المرأة؟ وما هي الطفولة؟ والتي تحققها القدرات الطبية على الجسد من

خلال الجراحة، ومن خلال تقديم الحجج الأخلاقية لذلك في إطار (التطبيب- medicalization) وهي العملية التي يستطيع الطب من خلالها تصنيف الصحيح من السقيم من خلال تصويره عن الحقيقة (١).

إن التصورات والمؤسسات الطبية ليست محايدة على مستوى المرض والتشخيص، بل تعبّر عن نظام فكري خاص يتحدد عبر المناخ الثقافي السائد الذي يسيطر على العالم الحديث، والذي يعطي أهمية أكبر للجسد كأداة لتشكيل الذات، ويعود ذلك إلى تراجع تأثير المرجعيات الدينية والسرديات السياسية الكبرى، وشعور المرء بأنه عاجز عن إحداث تأثير في العالم، فتتم محاولة إعادة بناء المعنى من خلال الجسد، وإحداث التغيير والتأثير من خلال التأثير على حجم جسده وشكله ومظهره بحسب تحليلات كرس شلنج، كما يشير

دايفيد لبرتون إلى أن تغيير الجسد من أجل تغيير الحياة هو جزء من طموحات العالم الحديث (٢).

ومن الخصائص البشرية القدرة على صياغة البدائل حتى على مستوى المرجعيات الدينية، وإن كانت تلك البدائل ليست متماسكة ولا تدوم، ولكنها تأخذ مكانة المقدس من خلال الهيمنة والتأثير والتوجيه والمعاقبة وخطورة التشكيك في حقائقها، والتي ترتبط بحسب رايان أندرسون بالحجة الغيبية الجديدة والتي تقول: «إن الناس هم ما يدعون أنهم عليه، بغض النظر عن الأدلة الجسدية التي تخالف أقوالهم» (٣).

وترتكز الصياغة المقدسة الحديثة على أربعة أركان أساسية:

-الدور الجندري.

-الهوية الجندرية.

-القلق الجندري.

-إعادة تعيين الجندر.

وعند فحص الصياغات الثلاث الأولى من خلال التحليل والمعنى، تأتي أطروحة النفساني روبرت ستولر الذي يعتبر من أوائل من قدم تحليلات حول مفاهيم الجندر. يشير ستولر إلى أن الدور الجندري هو ما يتظاهر به المرء أمام الآخرين على المستوى الاجتماعي في مسألة الاختلاف الجنسي بين الرجل والمرأة، وأن الهوية الجندرية هي التصور الداخلي النفسي في مسألة الاختلاف الجنسي، ويشير إلى أن القلق الجندري هو القلق الدائم لدى المرء من الجنس المحدد له أو الإحساس بعدم الملاءمة للدور الاجتماعي. ثم تأتي المرحلة الأخيرة وهي إعادة تعيين الجندر -أي التحول



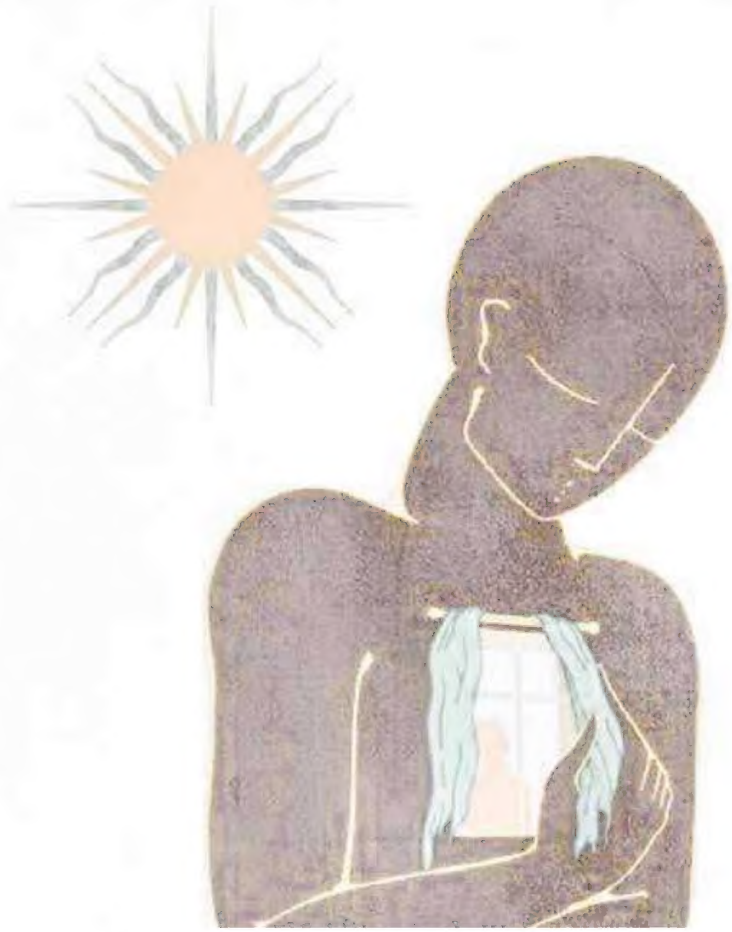
كانوا يريدون التحول إلى جنس مفاير لم تكن حالات تعاني إلا بسبب البيئة المحيطة، واختلاف الطبع، والاضطرابات النفسية، والتفضيل الخاطئ، والعلاقة غير الآمنة مع الوالدين، ولم تكن تحتاج إلا للإرشاد النفسي، وتغيير البيئة، وتغير التعامل من الوالدين، دون الحاجة لحلول حركة المتحولين، والتي تتمثل في ارتداء لباس جنس مختلف، والتدخل الجراحي والعقاقير.

وأول حالات زوكر كانت حالة الطفل فرانك الذي يبلغ الخامسة من العمر، ويريد التحول إلى فتاة بسبب مشاعره الحساسة وميله للعب المختلف في درجة خشونته، وشعوره أن الأولاد سيئون(٦).

يشرح زوكر حالة فرانك عبر مسألة النشاط البدني، والتي تعتبر من الخصائص البشرية، ومعادلة اتفاق الطاقة البدنية والميل إلى اللعب القاسي، وبحسب زوكر يكون الأولاد أنشط في مستويات معينة، ولكن في الحالات المرضية للأطفال الذين لديهم اضطرابات الهويات الجنسية، يلاحظ زوكر أن مستويات النشاط (مقلوبة) بحيث كانت لدى الأولاد أقل مقابل ارتفاعها لدى الفتيات.(٧)

يخلص زوكر في حالة الطفل فرانك إلى أن الصبي ذو النشاط المنخفض يرى أن السلوك الأنثوي النموذجي متوافق مع طبيعه، وبذلك يميل للانضمام عند اللعب والأنشطة الخاصة للفتيات، والحل العلاجي في حالته كان في تعريف فرانك على أطفال ذكور يقتربون منه في مسألة الطبع ومستوى النشاط.(٨)

وفي الحالة الثانية يشير زوكر



بحيث لا يوجد فيه أطفال يعتبر وجودهم عائقاً من ناحية الهوية الجسدية المستقيمة والطبيعية بحسب جوانا ويليامز(٩).

ومساهمة التجريب الطبي في صياغة عصر بلا طفولة ترتبط بإعادة تعيين الجندر لدى الأطفال من خلال تحديد (التطبيب) لأمراض الطفولة على مستوى الاختلاف الجنسي، وتعديل ذلك عبر (قمع البلوغ) من خلال الوسائل الطبية التي تعمل على وقف هرمونات الغدد التناسلية في الأطفال.

يعتبر عالم النفس كينيث زوكر أحد أهم الناقدين لسيطرة الأفكار والأدلة التي تقدمها حركة المتحولين على المؤسسات الطبية، فيما يخص معايير التطبيب حول أمراض الطفولة، ومسألة القمع الطبي للبلوغ لدى الأطفال، والتي يرى زوكر أنها متسربة وإجرامية، لأن الحالات المرضية للأطفال الذين

الجنسي- من خلال التدخل الجراحي والعقاقير واللباس، والتي تعبر بحسب ديفيد غوفلر عن عدم استقرار معايير الجسد في المجتمعات الحديثة من خلال انفتاحه على التجريب(٤).

ويمتد الانفتاح على التجريب الطبي والمفاهيم الجندرية والتحول الجنسي إلى الطفل والطفولة، من خلال نظام فكري يعتمد المناهج المدرسية والموسيقى الشعبية والأفلام والبرامج التلفزيونية وكتب الأطفال في تقديم صور وتمثيلات إيجابية ومقبولة بين الأطفال عن المتحولين جنسياً، ويشجع على التحول وتقوية مساحات القلق الجندري بين الأطفال، وتطبيع مكانة الأسرة المتحولة، وحضور المتحولين للفصول الدراسية لقراءة القصص، وكل هذا التركيز على الأطفال يرجع سببه إلى بحث حركة المتحولين عن عصر بلا طفولة،

ويمتد الانفتاح على التجريب
الطبي والمفاهيم الجندرية
والتحول الجنسي إلى الطفل
والطفولة، من خلال نظام
فكري يعتمد المناهج المدرسية
والموسيقى الشعبية والأفلام
والبرامج التلفزيونية وكتب
الأطفال في تقديم صور
وتمثيلات إيجابية ومقبولة بين
الأطفال عن المتحولين جنسيا



إلى علاقة الاضطرابات النفسية مع اضطراب الهوية الجنسية، كاضطراب طيف التوحد، واضطراب القلق المعمم-قلق مفرط- التي تنطوي على الاستعداد للاهتمامات الوسواسية والهوس والقلق حولها، ويوضح ذلك في حالة ديفيد-يبلغ من العمر الخامسة-الذي أصبح مهووسا بأن يصبح فتاة، وقام والداه بتهيئة بيئة أنثوية له من ألعاب وملابس الفتيات، وتابع زوكر حالة ديفيد حتى بلغ سن ١٢، فأصبح مهووسا بنجوم الموسيقى، ثم اختفت أعراض اضطراب الهوية الجنسية، فلم يكن التسرع التحولي حلا بحسب زوكر.(٩)

والحالة الثالثة هي حالة الطفل توم الذي يبلغ من العمر أربع سنوات، وكانت أمنيته أن يصبح فتاة، ويشير زوكر إلى أن توم يعاني بسبب شخصية والدته الأنانية، وغياب دائم للأب، ومولد شقيقة له، يلاحظ زوكر أن الطفل أصبح يشعر أن والدته تخلت عنه من خلال الاهتمام المفرط بأخته، وبذلك أصبح يريد أن يكون فتاة، ظناً منه أنه عندما يصبح فتاة سيحظى بالقدر نفسه من الاهتمام الذي حظيت به أخته.

ويخلص زوكر في حالة توم من خلال أبحاث فريقه إلى أن هناك ارتباط بين الأولاد الذين يعانون من اضطرابات الهوية الجنسية، وبين العلاقة غير الآمنة مع الأم.(١٠)

المراجع:

- ١-المفاهيم الأساسية لعلم الاجتماع-جون سكوت-ص١٠٩-١١٠.
- ٢- كتاب الجسد والنظرية الاجتماعية-كرس شلنج-ص٢٢-٢٧. أنثروبولوجيا الجسد -دافيد لوبروتون-ص١٥١.
- 3- The Philosophical Contradictions of the Transgender Worldview - by Ryan T. Anderson
- ٤-ديفيد غوفرل-الجنوسة-ص٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣٥-٣٦.
- 5- The corrosive impact of transgender ideology - Joanna Williams, p. 31
- 6- When harry became sally - Ryan T. Anderson, p. 147
- 7- When harry became sally, p. 146
- 8- When harry became sally, p. 146-147
- 9- When harry became sally, p. 148-149
- 10-when harry became sally, p. 149-150